الشعر السوداني بين العولمة والحفاظ على الهوية (1950 إلى 1990م)

أستاذ مشارك - قسم اللغة العربية - كلية التربية
جامعة البحر الأحمر

د. إيمان الطريفي عبد الرحمن محمد

مستخلص:

تناولت هذه الدراسة تأثير العولمة على الشعر السوداني خلال الفترة الممتدة من 1950 إلى 1990، مسلطة الضوء على كيفية انعكاس التحولات الثقافية العالمية على النتاج الشعري السوداني، ومدى تأثيره بالمدارس الأدبية الغربية. وقد اعتمدت الدراسة المنهج الوصفي التحليلي لرصد أنماط التفاعل بين العولمة والشعر السوداني، واستكشاف ملامح التجديد والتأثر بالأدب العالمي، مع التركيز على دور وسائل الإعلام والمنظمات الدولية في تشكيل الاتجاهات الشعرية خلال تلك الفترة. هدفت الدراسة إلى: تحليل أثر العولمة على الشعر السوداني من حيث الشكل والمضمون. استكشاف مدى تأثير الشعراء السودانيين بالتيارات الأدبية العالمية. دراسة دور وسائل الإعلام والمنظمات الدولية في نقل وتشكيل الاتجاهات الشعرية. تقييم مدى احتفاظ الشعر السوداني بخصوصيته وهويته الثقافية رغم التأثيرات العالمية. استندت الدراسة إلى عدد من الأبحاث السابقة التي تناولت تطور الشعر السوداني وتأثره بالحدثة، مثل دراسة حمزة الملك طمبل حول الدعوة للأدب القومي، ودراسة أحمد عكاشة أحمد فضل عن تطور الشعر السوداني في ظل العصرية. وقد أضافت هذه الدراسة بُعداً جديداً عبر تحليل تأثير العولمة الثقافية والاقتصادية على تطور الشعر السوداني، مما يتيح مقارنة أكثر شمولية لموضوع التحديث والتأصيل في الشعر السوداني. توصلت الدراسة إلى أن العولمة أتاحت فرصاً جديدة أمام الشعراء السودانيين لاستكشاف أشكال فنية وأدبية حديثة، مما ساهم في تطور القصيدة السودانية من حيث البناء الفني والتقنيات التعبيرية. تأثر الشعر السوداني بالمدارس الأدبية الغربية، خاصة الرمزية والتعبيرية، مما انعكس على المضامين الشعرية التي أصبحت أكثر ارتباطاً بالقضايا الإنسانية والعالمية. واجهت الهوية الشعرية السودانية تحديات في ظل التأثيرات الثقافية الوافدة، ما دفع بعض الشعراء إلى البحث عن توازن بين الأصالة والتجديد. لعبت وسائل الإعلام والمنظمات الدولية دوراً رئيسياً في نشر الاتجاهات الشعرية الجديدة، مما ساهم في تسريع وتيرة التفاعل الثقافي بين السودان والعالم الخارجي.

الكلمات المفتاحية: العولمة، الشعر السوداني، الهوية الثقافية، الحدثة الشعرية، التأثيرات الغربية، الإعلام والثقافة.

Sudanese Poetry Between Globalization and Identity Preservation (1950 -1990AD)

Dr.Eman Abdel-Rahman Altarafi

Abstract:

This study examines the impact of globalization on Sudanese poetry from 1950 to 1990, highlighting how global cultural transformations influenced Sudanese poetic production and its interaction with Western literary movements. The study employs a descriptive-analytical approach to observe patterns of engagement between globalization and Sudanese poetry, exploring aspects of renewal and influence from world literature while focusing on the role of media and international organizations in shaping poetic trends during this period. The study aims to: analyze the impact of globalization on Sudanese poetry in terms of form and content; explore the extent to which Sudanese poets were influenced by global literary currents; examine the role of media and international organizations in transmitting and shaping poetic trends; and assess the extent to which Sudanese poetry has maintained its uniqueness and cultural identity despite global influences. The study builds on previous research addressing the development of Sudanese poetry and its interaction with modernity, such as Hamza al-Malik Tambar's work on the call for national literature and Ahmed Okasha Ahmed Fadl's study on the evolution of Sudanese poetry in the era of modernization. This research adds a new dimension by analyzing the cultural and economic impact of globalization on the development of Sudanese poetry, providing a more comprehensive perspective on the balance between modernization and authenticity in Sudanese poetry. The study concludes that globalization has created new opportunities for Sudanese poets to explore modern artistic and literary forms, contributing to the evolution of Sudanese poetry in terms of artistic structure and expressive techniques. Sudanese poetry has been influenced by Western literary schools, particularly Symbolism and Expressionism, which have shaped its themes, making them more connected to global and humanitarian issues. The Sudanese poetic identity has faced challenges due to external cultural influences, prompting some poets to seek a balance between authenticity and innovation. Media and international or-

ganizations have played a crucial role in disseminating new poetic trends, accelerating cultural interaction between Sudan and the global literary scene.

Keywords: Globalization, Sudanese poetry, cultural identity, poetic modernity, Western influences, media and culture.

أهداف الدراسة:

1. تحليل تأثير العولمة على الشعر السوداني من حيث الشكل والمضمون.
2. استكشاف مدى تأثير الشعراء السودانيين بالتيارات الأدبية العالمية.
3. دراسة دور وسائل الإعلام والمنظمات الدولية في تشكيل الاتجاهات الشعرية في السودان.
4. تقييم مدى احتفاظ الشعر السوداني بخصوصيته وهويته الثقافية رغم التأثيرات العالمية.

مشكلة الدراسة:

تتمثل مشكلة الدراسة في البحث عن مدى تأثير العولمة على الشعر السوداني خلال الفترة من 1950 إلى 1990، وكيف انعكست هذه التأثيرات على الشكل والمضمون، وما إذا كانت العولمة قد ساهمت في إثراء الشعر السوداني أم أنها أدت إلى فقدان جزء من هويته.

فرضيات الدراسة:

1. هناك تأثير واضح للعولمة على موضوعات الشعر السوداني خلال الفترة المدروسة.
2. تأثر الشكل الفني للقصيدة السودانية بالتطورات العالمية في الشعر الحديث.
3. ساهمت العولمة في إتاحة فرص جديدة للشعراء السودانيين، لكنها في الوقت ذاته فرضت تحديات على الهوية الشعرية.
4. النقد الأدبي في السودان تأثر بدوره بمفاهيم العولمة وتيارات النقد الغربي.

منهجية الدراسة: اتبعت الدراسة المنهج التحليلي الوصفي.

حدود الدراسة:

الحدود الزمانية: تشمل الفترة من 1950 إلى 1990.
الحدود المكانية: تركز الدراسة على الشعراء السودانيين وتأثير العولمة على إنتاجهم الأدبي.
الدراسات السابقة: هنالك دراسة بعنوان /حمزة الملك طمبل رائد التجديد في الشعر السوداني، على موقع موسوعة التوثيق الشامل tawtheegonline.com. للأستاذة هالة نصر الله، تضمنت على ان حمزة الملك طمبل رائد التجديد في السودان من خلال الدعوى لأدب قومي يعكس شخصية السودان كما كانت له دعوى مشهورة نحو الصدق الفني.

أيضا هنالك دراسة للدكتور احمد عكاشة احمد فضل بعنوان العصرية وما بعدها قد يطرحان خارطة طريق لتطور الشعر السوداني المعاصر، على موقع سودانيل sudanile.com جاء

عرض الدراسة:

إن العصر الذي نعيشه اليوم هو عصر العولمة الثقافية (محمد حسين أبو صالح، الخرطوم، مطبعة العملة، 2006، ط1، ص291)⁽¹⁾. والسودان باعتباره دولة من الدول النامية تظال

العولمة الثقافية بكثافة، وذلك لأن الآخرين يرسلون أفكارهم وقيمهم ومبادئهم عبر الأثير، ولا سبيل سوى أن نكون مستعدين للمجابهة مع ما هو سلبي والعمل على تفاديه.

فالسودان يتعرض لعمليات العولمة الثقافية عبر صيغ مختلفة، منها ما يلغي بظلاله على السودان كله مثل القنوات الفضائية، ومنها ما يلغي بظلاله على مناطق معينة من البلاد مثل عمل المنظمات العالمية التطوعية ومحاولاتها للتنصير وتغيير القيم المحلية إلى قيم غربية، ومنها ما يمس سيادة الدولة، وتعرض لذلك فيما يلي بشيء من التفصيل.

طرق تأثير العولمة على الثقافة الوطنية:

(1) المنظمات التطوعية العالمية وتأثيراتها الثقافية:

إن المنظمات العالمية التطوعية تعمل على أن تنزع الإنسان السوداني من إطاره الثقافي والديني ونقله إلى القيم والمفاهيم الثقافية الغربية والنظرة الغربية للحياة، أي تسعى إلى (عولمة) الإنسان.

فعندما ضرب الجفاف والتصحر السودان في النصف الأول من الثمانينيات، كانت الإغاثات والمنظمات مدخلاً لفرض قيم الغرب على البلاد، ثم تطور الأمر بعد ذلك إلى ما هو أخطر. فبعد اتفاقية نيفاشا للسلام وعبر قضية دارفور، أطلقت مفاهيم العولمة التي فرضها الغرب على السودان موجةً من تدفق الأجانب لم يسبق لها مثيل في السودان. وأغلب التدفقات الأجنبية كانت عبر العمل الإنساني التطوعي الذي فرضته ظروف الحرب والجفاف والنزوح حيث بلغ عدد المنظمات الأجنبية العاملة بالبلاد 212 منظمة منها 194 منظمة طوعية أجنبية و18 منظمة دولية بما فيها وكالات الأمم المتحدة، وتعاظم الوجود الأجنبي الذي يعمل بوكالات الأمم المتحدة والمنظمات الدولية والطوعية حتى بلغ 12,791 أجنبياً من الجنسيات العالمية المختلفة. هكذا حدث الاختراق من قبل المنظمات التطوعية للمجتمع السوداني، وهذا الاختراق قد تم عن طريق العولمة بأدواتها المتمثلة في المنظمات الطوعية العالمية الغربية التي تشكّل حضوراً كثيفاً واحتكاكاً مباشراً بتلبيتها للحاجات الضرورية للفئات الضعيفة في المجتمع مثل الغذاء والمأوى والعلاج الذي عجزت عن تقديمه الحكومات المحلية، فهذه المنظمات تقدم النموذج الغربي في التعامل مع ذوي الحاجة (حسين إبراهيم كرشوم، دور المنظمات التطوعية في العولمة وأثرها على المجتمع السوداني، الخرطوم، مطبعة العملة، ط1، 2008، 102)، وتحاول أن تصوغه وفق الرؤية التي من أجلها تم إنشاء المنظمة في المناطق النائية لأن الإنسان يكون أكثر عرضة للتأثر عند النزوح وفي ظروف الكوارث.

لقد أصدر مركز دراسات المجتمع بالسودان دراسة قيمة تحت عنوان (دور المنظمات التطوعية في العولمة وأثرها على المجتمع السوداني 1989 م - 2006م) وتناولت الدراسة الآثار الاجتماعية والثقافية السالبة لهذه المنظمات في معسكرات دارفور، حيث أشارت إلى أن من الآثار الاجتماعية السالبة لنشاط المنظمات في هذه المعسكرات هو تكييف النازحين واعتمادهم على المعونات الإنسانية والإغاثة بنسب عالية، بجانب التأقلم على نمط الحياة اليومية الاجتماعية في

المعسكرات وتبني أممات غربية على مجتمعاتهم القديمة. هذا التكيف أوجد قيماً جديدة مثل الحرية الشخصية للمرأة والتحرر من القيود الاجتماعية كولاية الأب والأخ الأكبر وذلك لغياب الرقابة الأسرية حسب وضعية السكن التي لم تكن مألوفة من قبل. وصار الأطفال يرسمون أبطالهم من الأجناب الخواجات (حسين إبراهيم كرشوم، دور المنظمات التطوعية في العولمة وأثرها على المجتمع السوداني، الخرطوم، مطبعة العملة، ط1، 2008، 158)،⁽³⁾ وهذا جيل قد يتنكر للمسلمات المحلية وينزع نحو القيم المتمثلة في هذا الأجنبي الذي قد لا يأبه بكثير من القيم المحلية. وهذه الآثار التي تركتها العولمة في وسط النازحين قد تمتد آثارها إلى أكثر من الجيل الحالي من الأطفال. ويتوقع أن تلد مجتمعاً يختلف في خصائصه عن المجتمع السابق، مجتمع يتمثل قيم القرية الكونية. (حسين إبراهيم كرشوم، الخرطوم، مطبعة العملة، ط1، 2008، 158)⁽⁴⁾

لقد ثبت أن هنالك عمليات (تنصير) تتم في دارفور. وهذا يعني أن الفكر الإسلامي والقيم السودانية لا يريدون لها أن تكون في المستقبل هي التي تحكم نظرة الكثيرين من الذين نشأوا بالمعسكرات للحياة. وستكون الحضارة الغربية هي مثلهم الأعلى الذي يتطلعون إليه، وذلك لأن التربية في الصغر لها أثر كبير على الناشئة.

إن المنظمات التطوعية تبني الأقليات إلى التمسك بالخصوصية الثقافية على أساس أنها حق فطري تنص عليه المواثيق الدولية، وبالتالي تضعف سيطرة الحكومات على شعوبها (حسين إبراهيم كرشوم، دور المنظمات التطوعية في العولمة وأثرها على المجتمع السوداني، الخرطوم مطبعة العملة، ط1، 2008، 182)⁽⁵⁾. وامتداداً لذلك، فإن الثقافة الوطنية لن تكون هي المهيمنة على الواقع الوطني.

(2) القنوات الفضائية ودورها في العولمة:

إن القنوات الفضائية تفتح اليوم منازلنا، ويتعاطى معها الشباب وكل أفراد المجتمع بصورة يومية، والسماء كلها مفتوحة أمام الأطباق لالتقاط جميع القنوات مختلف لغاتها وبلدانها وهويتها ومحتوياتها سواء كانت غثّة أو ثمينّة. والإنترنت موجود بكثرة، ويزداد يوماً بعد المتعاملين معه من الشباب، وكل ما يجري في العالم تستطيع أن تشاهده في لحظة وقوعه. الأفلام والأغاني والفيديو كليب تحمل لك مناهج الثقافة الغربية كلها وتنقلها إلى بيتك. ونرى عملياً تأثر الشباب في السودان بمختلف التيارات العالمية. فالعالم بالفعل قرية صغيرة. واليوم تستطيع أن تتبين بسهولة كيف أن عدداً كبيراً من الشباب يميلون إلى الغناء الغربي والموسيقى الغربية والرقص الغربي، وهنالك من الفنانين الشباب من يحاولون تقليد فناني الغرب في طريقتهم بالغناء، فتلاعبوا بألحان الأغاني السودانية الأصيلة. وهنالك من يحفظون عن ظهر قلب أسماء المصارعين وأبطال كرة القدم ويعتبرونهم مثلاً أعلى لهم. وهنالك أطفال في الشوارع يقلدون المصارعين في القنوات الفضائية.

إن أزياء الممثلات الأجنبية، وطريقة قص شعورهنّ والمكياج، والتعامل المفتوح بين الرجل والمرأة في الأفلام والمسلسلات الأجنبية، لها دور في التأثير على الناشئة. وكذلك الاحتفالات بأعياد

الميلاد وعيد الحب والحفلات الخاصة المختلطة وتناول المخدرات والكحول، وتعاطي السجائر من قبل أبطال المسلسلات وطريقتهم في اللبس وفي الحياة لها تأثيراتها على الناشئة. وهناك الأفلام التي تمجد العنف والقوة حيث تلغي بظلالها على الشباب، الذي لا بد أن يتأثر بذلك ويعتبره قيماً ومثلاً يجب السعي لبلوغها.

(3) الإنترنت في السودان:

بلغ عدد مستخدمي الإنترنت في السودان أكثر من أربعة ملايين مستخدم ويشكلون حوالي 10% من إجمالي السكان (إبراهيم واقداي، مجلة المصارف، مؤسسة الصالحاني، دمشق، العدد 36، يوليو 2011م، ص24)⁽⁶⁾، ويحتل السودان المركز الخامس بين 17 دولة عربية، حيث قام موقع أربيان بيزنس بترتيب قائمة الدول العربية الأكثر استخداماً للإنترنت حتى تاريخ 30 يونيو 2010م. (إبراهيم واقداي، مجلة المصارف، مؤسسة الصالحاني، دمشق، العدد 36، يوليو 2011م، ص24)⁽⁷⁾، واعتبر الموقع أن السودان يحل خامساً في قائمة الدول الخمس الأوائل في أفريقيا الأكثر استخداماً للإنترنت بعد مصر والمغرب ونيجيريا وجنوب أفريقيا، وهذا يدل على التطور المتسارع في الوصول للإنترنت بالسودان إلى مراحل متقدمة.

وبلغ عدد المشتركين في خدمات الاتصالات حوالي ثمانية عشر مليوناً، منتشرين في جميع أنحاء البلاد، في الشركات العاملة وهي زين، سوداني، أم تي إن، خدمات هاتف جوال، وشركتا ثابت، وكنار وهما يقدمان خدمات الاتصالات الثابتة (إبراهيم واقداي، مجلة المصارف، مؤسسة الصالحاني، دمشق، العدد 36، يوليو 2011م، ص24)⁽⁸⁾. ومن الأجسام المهمة التي ترعى هذا المجال في السودان الهيئة القومية للاتصالات، التي تقوم كما هو معلوم بدور حجب المواقع الإباحية على الإنترنت ويقتصر دورها على ذلك، غير أن الموضوع لا يقف في هذه الحدود. فالأفلام الغربية تبث قيماً ومثلاً وتبعث برسائل للشباب، والمسلسلات الأجنبية تفعل ذلك.

ومن ناحية أخرى، انتشرت في السودان خدمات مقاهي الإنترنت، خاصة بالعاصمة السودانية الخرطوم، حيث يرصد بعض المتابعين لهذا الشأن في هذه المقاهي أن أغلب الرواد من الشباب حيث تبلغ نسبة الطلاب ما يقرب من 30% من رواد المقاهي، بينما تتوزع النسبة الباقية بين الشرائح المختلفة، وترصد المصادر نفسها أن أغراض زوار مقاهي الإنترنت تتراوح بين الدراسة والترفيه بنسبة 30% والبحوث 15% والبريد الإلكتروني بنسبة 40% وتبلغ نسبة الفتيات من زوار مقاهي الإنترنت 40% وهي نسبة عالية مقارنة بالأوضاع في بلدان أخرى (إبراهيم واقداي، مجلة المصارف، مؤسسة الصالحاني، دمشق، العدد 36، يوليو 2011م، ص25)⁽⁹⁾.

تأثير العولمة على شعراء السودان 1950-1990م:

إن السودان بوصفه جزءاً من الوطن العربي كان من الطبيعي أن تنعكس عليه كل التطورات التي عاشها الأدب العربي في التأثير بالمذاهب والآداب العالمية. فالسودانيون عاشوا تجربة الاستعمار الإنجليزي (1898 - 1955م) ودرسوا مناهج الجامعات البريطانية في كلية غردون وجامعة الخرطوم التي كانت جامعة باللغة الإنجليزية، وجربوا الابتعاث إلى بريطانيا وعاشوا تلك التجربة،

أضف إلى ذلك، نجد الشعر في السودان قد أخذ كامل التطورات في الشعر العربي في مختلف أقطاره وتأثر بها واقتفى أثرها، وانعكست تأثيرات الآداب الأوربية والمدارس الأوربية على الشعر العربي بدورها على السودان. فمثلما كان هنالك رومانسيون وواقعيون في الوطن العربي، كان ذلك في السودان أيضاً.

أما الشعر الحديث فقد كتبه غالبية شعراء السودان وبرعوا فيه. وبالطبع فإن حركة الابتعاث من السودان قد شملت مبتعثين لدول أوربا الشرقية والاتحاد السوفياتي (سابقاً) وقد تأثر المبتعثون بتجربة المعسكر الاشتراكي سابقاً أيضاً.

إن تأثير العولمة على شعراء السودان لم يتوقف عند الشكل فقط، إنما تجاوز ذلك إلى المضمون. فكل الوسائل التي ذكرناها آنفاً، والتي كان لها تأثيرها على الثقافة الوطنية، أثرت بدورها على الشعر السوداني باعتباره أحد مكونات الثقافة الوطنية السودانية وعنوان أساسي لها. والحقيقة أن الثقافة بالتحديد، لم تكن في يوم من الأيام في أي منطقة من مناطق العالم مغلقة على نفسها. فهي تُؤثر وتتأثر وتتفاعل مع غيرها بمستويات مختلفة. ومن هنا فإن الشعراء السودانيين، وهم يتطلعون إلى تقديم إبداعاتهم للجمهور، راحوا يتلمسون طرقهم عبر هضم ثقافتهم الخاصة التي أبدعها مجتمعهم، والتي أبدعها المجتمع العربي كله كحلقة متواصلة مع بعضها، ثم عبر التأثير بكل ما تأثرت به الثقافة العربية في مختلف أقطار الوطن العربي.

فشعراء السودان تأثروا بشعراء العالم العربي بمختلف تياراتهم، وتأثروا بالشعر العالمي بشكل مباشر أيضاً، وتعرفوا على مختلف المذاهب والتيارات الأدبية العالمية، وحاولوا أن يصيغوا أيضاً مدارس وتيارات خاصة بهم. ولا شك أنهم قد تأثروا في اتجاههم لصياغة تلك المدارس بما حدث في أوربا منذ قرون. وفي الوطن العربي خلال القرن العشرين، فظهرت مدرسة الأدب المتجدد لتحافظ على الهوية الوطنية، ومدرسة الغابة والصحراء وجماعات الواقعية والواقعية الاشتراكية وجماعة أبادماك متأثرة بالتيارات الغربية. إلخ (إيمان الطريفي عبد الرحمن، الخرطوم مطبوعة، سينان ط1، 2010م، ص 9)⁽¹⁰⁾، وتأثر الشعراء السودانيون مثلهم مثل بقية الشعراء العرب، بمختلف المذاهب والمدارس والتيارات العالمية التي نشأت في الغرب، أي في أوربا بالتحديد ثم انتقلت لبقية مناطق العالم. (إيمان الطريفي عبد الرحمن، الخرطوم مطبوعة، سينان ط1، 2010م، ص 6)⁽¹¹⁾

في تلك الفترة كانت العولمة السائدة لا تتسم (بالسرعة المذهلة) في التغيير والتطور التكنولوجي، ولكنها كانت شاخصة عبر تأثير طويل الأمد. ومن باب تأثر الشعر العربي بالغرب كان تأثر الشعراء السودانيين أيضاً في تلك الفترة.

لقد تأثر الشعر العربي كله (برؤية غربية) للشعر من حيث الشكل، وقد أدى ذلك إلى الانتقال من شعر التشطير إلى شعر التفعيلة، والمعروف أنه قد دار جدل كبير وصراعات في تلك الفترة بين أنصار شعر التفعيلة وأنصار الشعر العربي الموزون والمقفى. وتكونت مدارس عديدة بمنطلقات ورؤى متباينة. ولكن هنالك شعراء رغم تبنيتهم لقصيدة التفعيلة، لكنهم كانوا ضد التغريب. فهذا هو الشاعر السوداني عبد القادر الكتيابي يقول عن نص سنورده بعد مراقبته (عبد

القادر الكتيابي، مجلة المصارف الخرطوم، إصدارات اتحاد المصارف، العدد 32، يوليو 2010م، ص 104(12): «الثورة العارمة في هذا النص أشعلها الممل من زحف الآيدولوجية المنظم على ساحات الإبداع، وهذا ما شكّل خطراً على الحس القومي في العمل الإبداعي الذي كُنّا نرجو منه أن يدفع مشروع الهوية الواحدة» وهذا النص يقول:

على كيفي.
أرقّع جُبتي أو لا أرقّعها.
أطرزها من اللالوب.
ألبسها على المقلوب.
أخلعها. على كيفي)

فالشاعر الكتيابي هنا يكتب شعر التفعيلة، ويتجاوز التشطير، ولكنه يلتزم بمفردات نابغة من البيئة. وفي رأي الباحثة أن المضمون طالما هو التمسك بالرؤية الوطنية والتراث الوطني ومفردات المجتمع ومكوناته وثقافته، فإن الاستفادة من الأشكال الجديدة في الإبداع لا يضرنا في شيء. ولكن العيب كل العيب في التخلي عن هوية المجتمع وروحه وقيمه و(الاتحاق) بالفكر الغربي والنظرة الغربية للحياة.

فإذا توافر الوعي الوطني والقومي، والالتزام الوطني والقومي فسيكون في مقدورنا ممارسة التفاعل الثقافي الطوعي الحر مع الآخرين، والاستفادة من إيجابياتهم، ومدّهم بما عندنا من إيجابيات.

تأثير العولمة على الشعراء من حيث الأجيال:

الجيل الأول من شعراء العصر الحديث من أمثال محمد سعيد العباسي، عبد الله عبد الرحمن الأمين، عبد الله محمد عمر البناء، لم تكن للعولمة تأثيرات عليهم بشكل ملحوظ. فهم جيل الثلاثة عقود الأولى من القرن العشرين. ولكن الجيل الذي أعقبهم بشكل مباشر، أو عايشهم وهم في سنواتهم الأخيرة بينما هو في بداية تجربته من أمثال التجاني يوسف بشير وشعراء جيله، فقد ألفت العولمة عليهم بظلالها بشكل لم يصل بهم إلى تجاوز أسس الشعر العربي التقليدي. فهم تبنوا الرومانسية وتأثروا بها من حيث المضمون، وجددوا في المعاني، ولكنهم لم يخرقوا شكل القصيدة العمودية.

أما الفترة التي يتناولها هذا البحث (1950-1990م)، فهي الفترة التي كان فيها التأثير كبيراً بالتيارات والمذاهب التي نشأت في العالم الغربي ثم انتقلت للوطن العربي. ولم يتوقف هذا التأثير عند المضمون فقط، أو الشكل فقط، إنما شمل الشكل والمضمون على السواء. وكانت للشعراء نظرتهم الفلسفية لهذا التأثير. ومن الملاحظ في هذه الفترة أن هنالك جيل عاش الفترتين: فترة ما قبل التأثير بالمذاهب وفترة التأثير بتلك المذاهب بمدى واسع. وهؤلاء بدأوا بالقصيدة العمودية، وظلت كل أشعارهم الأولى على هذا النمط، وأصدروا دواوين عدة وبإنتاج غزير بالشعر العمودي، ولكنهم في مرحلة أخيرة من حياتهم كتبوا القصيدة الحديثة، ومن أمثلة هؤلاء الشاعر الفحل

محمد المهدي المجذوب. فدواوينه الشعرية الأولى، تلك الأشياء (389 صفحة) ومنابر (258 صفحة) كانت عمودية، وجميع أشعاره في الأربعينيات وحتى النصف الأول من الخمسينيات كانت عمودية، حتى جاءت مفاجأته في العام 1957م قصيدة بعنوان (المولد) (محمد المهدي المجذوب، دار الجيل بيروت، ط 1982م، ص 89)⁽¹³⁾:

صَلِّ يَا رَبَّ عَلَى الْمَدْتَرِّ
وَتَجَاوِزْ عَنْ ذُنُوبِي وَاغْفِرْ
وَأَعْنِي يَا إِلَهِي
بِمَتَابِ أَكْبَرِ
فِزْمَانِي وَلَعَّ بِالْمَنْكِرِ
دَرَجَ النَّاسِ عَلَى غَيْرِ الْهَدَى
وَتَعَادُوا شَهَوَاتِ
لَا يَبَالُونَ وَقَدْ عَاشُوا الرَّدَى
جَنَحُوا لِلْسُّلْمِ أَمْ ضَاعُوا سُدَى

والقصيدة طويلة، وفيها تصوير رائع وبديع للاحتفال بالمولد النبوي الشريف في ميدان عبد المنعم بالخرطوم، حيث يختتمها بالقول:

رَبِّ فِي مَوْطِنِي الْمُسْلِمِ قَدْ عُدْنَا إِلَيْكَ
مَا اعْتَمَدْنَا رَبَّنَا إِلَّا عَلَيْكَ
وَذَكَّرْنَا الْهَادِي الْمَخْتَارِ ذَكْرَى
مَلَأْتُ أَرْوَاحُنَا طُهْرًا وَصَبْرًا

وتواصلت في العام 1959م القصيدة الحديثة ضمن أشعاره، فانظر إلى قصيدته الجدار التي كتبها في 20 أغسطس 1959م يقول فيها:

جلستُ بظلِّ الضُّحَى (محمد المهدي المجذوب، دار الجيل بيروت، ط 1982م، ص 295)⁽¹⁴⁾

وظهري إلى حائطٍ من لَبْنٍ
عليه طلاءٌ خَشِنٌ
من الرُّوثِ خضرتُه الْمُعْتَمَةُ
رمادٌ على شمسِنَا الْمُضْرَمَةُ
وحيداً لَدَى الْحَلَّةِ

وفي نفس العام ونفس الشهر (بتاريخ 5 أغسطس 1959م) نجد له قصيدة أخرى بعنوان (حياة) على النمط الحديث، وتتالت القصائد ولكنه لم يتخلل عن كتابة القصيدة العمودية بالكامل إذ ظل يجمع بين الاثنين. وعلى نهج الشاعر محمد المهدي المجذوب هنالك شعراء سودانيون آخرون جمعوا في كتاباتهم بين القصيدة العمودية والقصيدة الحديثة، وهنالك من كتب القصيدة العمودية ولكن قام بتقسيمها حتى بدت وكأنها جزءاً من الشعر الحديث، وهنالك من جمعوا

حتى في القصيدة الواحدة بين العمودي والحديث. ومن الذين جمعوا بين القصيدة الحديثة والقصيدة العمودية شعراء كبار ومشاهير مثل محمد أحمد محبوب والهادي آدم بجانب محمد المهدي المجذوب، ومحبي الدين فارس، وهؤلاء أقاموا (الصلح) داخل أنفسهم بين النهجين. أما من الذين كتبوا القصيدة العمودية ولكن قاموا بتقسيمها حتى بدت وكأنها جزءاً من الشعر الحديث، محيي الدين فارس، بينما نجد الشاعر التجاني حسين قد جمع في القصيدة الواحدة بين العمودي والحديث. ومن الذين كتبوا القصيدة العمودية ولكن قاموا بتقسيمها حتى بدت وكأنها جزءاً من الشعر الحديث، الشاعر محمد الفيتوري. انظر إلى قصيدته التالية (محمد مفتاح الفيتوري، الطبعة الأولى، دار الشروق بيروت، 1992م، ص134)⁽¹⁵⁾:

كالفجرِ تُولَّدُ مغسولَ الضياءِ نقي
لا تدخل الموتَ، في أرضٍ ولا أفقٍ
ولا تغيب عن جيلٍ وإن بَعُدَتْ
بك السنينُ، وطالت رحلَةُ الغسقي
وبعض قدرِك فينا..

أَنَّ مجدَك في الأرواحِ ينبُتُ، والساحاتِ والطرقِ
وَأَنَّ صوتَك كان العصرُ
ممتزجاً بالعظمِ والفرحِ الطينيِّ
والأرقِ

يا أُمَّةً لم تكن فرداً ولا جسداً
إذا ارتوى الفرد من طغيانه وسُقِي
وُلِدْتُ في وطنين: الدمعِ والعرقِ
وعشْتُ في وطنين: القلبِ والحدقِ

فالشاعر كتب أبيات القصيدة أعلاه بهذا النسق الحديث، ولكن نفس الأبيات يمكن

إعادة كتابتها على النسق العمودي فتصير:

كالفجرِ تُولَّدُ مغسولَ الضياءِ نقي	لا تدخل الموتَ، في أرضٍ ولا أفقٍ
ولا تغيبُ عن جيلٍ وإن بَعُدَتْ	بك السنينُ، وطالت رحلَةُ الغسقي
وبعض قدرِك فينا.. أَنَّ مجدَك في ال	أرواحِ ينبُتُ والساحاتِ والطرقِ
وَأَنَّ صوتَك كان العصرُ ممتزجاً	بالعظمِ والفرحِ الطينيِّ والأرقِ
يا أُمَّةً لم تكن فرداً ولا جسداً	إذا ارتوى الفردُ من طغيانه وسُقِي
وُلِدْتُ في وطنين: الدمعِ والعرقِ	وعشْتُ في وطنين: القلبِ والحدقِ

وهناك شعراء انتهجوا مذهب الواقعية والواقعية الاشتراكية وغيرها من المذاهب، وكتبوا بغزارة شعر التفعيلة من أمثال صلاح أحمد إبراهيم والتجاني حسين وغيرهم.

التأثر بالعولمة في الثقافة الوطنية بين الإيجابيات والسلبيات؟:

إن العوالمة إذا كانت هي تعزيز الترابط بين الشعوب لمصلحة البشرية فإن ذلك من المفيد والمستحسن، فالشعوب تأخذ بعضها من بعض وقد أخذ الأوروبيون تاريخياً عن العرب علوم الطب والفيزياء والكيمياء والرياضيات وغيرها وطوروها و(أعادوها) أيضاً للعرب وهكذا، والثابت مثلاً أن الكيمياء عند العرب قد تطورت تطوراً ملحوظاً لدرجة أنهم اعتبروا المؤسسين الحقيقيين لهذا العلم. كان للمسلمين عدد كبير من العلماء في مجال الكيمياء، وهو علم ارتبط عند المسلمين في البداية بالطب والصيدلة إلى أن أصبح علماً منفصلاً. وممن يرجع لهم الفضل في ذلك جابر بن حيان. استفاد الأوروبيون كثيراً من إنجازات علماء المسلمين في مجال الكيمياء ويظهر لنا ذلك الكثير من استخدامات هذا العلم وفي كثرة الكلمات العربية المستخدمة في اللغات الأوروبية. (أسامة عبد الرحمن الأمين، المجلة العلمية لجامعة الأزهر، العدد الثالث، ديسمبر 2007م، ص2) (16) وفي العصر الراهن يستخدم العرب والسودانيون الإنترنت والأقمار الصناعية في الاتصالات وقد استفادوا من كل معطيات العلم الحديث، وفي هذه الجوانب لا ضير من تكاتف الشعوب. كما أن الأخبار قد أصبحت تنساب لحظة وقوعها لكل أنحاء العالم مما يجعل الكل على اطلاع كامل بما يجري في العالم وأصبح العالم بالفعل قرية صغيرة.

غير أن الخطر في (العوالمة) المطروحة اليوم أنها ليست فعلاً يقصد منه التضامن بين الشعوب والتبادل المعرفي بينها والتفاعل الطوعي الحر، ولكنها صارت (سلاحاً) بيد قوى الاستعمار لفرض سيطرته السياسية والاقتصادية والثقافية على الشعوب.

إن هنالك من يقاومون العوالمة في بلادنا من منطلقات فكرية إسلامية، ويؤكدون أنه قد أصبحت الأمم الإسلامية في الفترة الأخيرة «مرتعاً للتبشير والثقافات العلمانية الهدامة والتي تسعى إلى إفراغ الدين الإسلامي والعقل المسلم من محتواه الفكري والروحي واللذنين يعتبران مصدراً قوة ووحدة للأمة الإسلامية» (عبد الوهاب عثمان شيخ موسى، الخرطوم دار مصحف أفريقيا، ط1 2004، 207) (17)، وبالطبع فإن الإنترنت والقنوات الفضائية قد لعبت دوراً في ذلك نتيجة للعوالمة. وهنالك من يقاومون العوالمة من الزاوية الثقافية الشاملة: «إن التفوق الأمريكي في إنتاج البرامج سببه أن الولايات المتحدة الأمريكية صنعت في ثلاثة قرون تقاليد لثقافة الجماهير، هي وحيدة صنعها في العالم، تتوجه إلى الجميع حتى الفئات الأكثر شعبية في مختلف أصقاع المعمورة، وهذا راجع إلى المستوى الذي يشتغل به الأمريكيون. إنهم لا ينتجون ثقافة، بل يقترحون المسطرة التي يمكن أن تنتج بها ثقافة، وقد غزا (هوليوود) العديد من نوابغ العالم، وأنجوا أفلاماً بالمسطرة الأمريكية للإنتاج» (جلال الدين الشيخ زيادة، العدد الأول، سبتمبر 2007، الخرطوم مطبعة المجموعة الدولية، ص19) (18). فالولايات المتحدة الأمريكية تتحكم في 65% من المادة الإعلامية في العالم. ومن أكثر ما يلفت العالم من ظواهر العوالمة المدى الذي بلغته الثقافة الشعبية من الانتشار والسيطرة على أذواق الناس في العالم، فالموسيقى الأمريكية والتلفزيون والسينما من (مايكل جاكسون) إلى (رامبو) إلى (دالاس) أصبحت منتشرة في مختلف أنحاء العالم (نبيل علي، بيروت، ديسمبر 1997م، ص94) (19).

إن الصادرات الثقافية الأمريكية لا تعكس إلا المستوى المتدني من الأنشطة الثقافية. لذلك قامت في الولايات المتحدة الأمريكية صناعات خاصة بالشباب والمراهقين قادرة على التصدير الفوري. (نبيل علي، بيروت، ديسمبر 1997م، ص 94)⁽²⁰⁾ ومن الانتقادات القويّة في السودان للعولمة ما كتبه عون الشريف قاسم: «وأمام هذا التحدي الكبير لمخططاتهم الرامية لصبّ العالم في قالب الحضارة الغربية عامة عن طريق العولمة التي توظّف كل الوسائل المادية والمعنوية لتحقيق ذلك الهدف. فقد تبين لهم أن الخطر أكبر عليهم من أن تحتويه عولمتهم فاحتاجوا كما يقول المثل السوداني (إنهم محتاجون لمساعدة العولمة بجكّة)، وهذه الجكّة هي اللجوء إلى القوة لفرض مخططاتهم بعد أن فشلت طرق الدعاية والإغراء.» (عون الشريف قاسم، مطابع هيئة الأعمال الفكرية، العدد الثامن، يناير 2004م، ص 27)⁽²¹⁾ ومن الانتقادات القوية أيضاً أن سليمان إبراهيم قد أطلق على العولمة تعبير ثقافة الفتنة وقال عنها: «كنت أودُّ أن أواصل حديثاً عن مصير القيم في عالم مضطرب، لكنني لم أستطع حال شروعي في الكتابة أن أتجاهل صخباً يصك الأسماع آتياً من بعيد، من الغرب، ليتجاوب معه صخب قريب، من عالمنا العربي الإسلامي، ومن الجانبين يتكون ضجيج لم يعد ممكناً تجاهله، خاصة وهو يختلط خطأً وإساءةً بمفهوم الثقافة، كما أنه في رأيي ضجيج ناتج من مقدمات ساقها مثقفون مشوهون، فالموضوع كله يدخل في إطار ثقافة الفتنة، التي هي بلا ريب أشدُّ من القتل، لأنها تفتح أبواب الشر لإهدار الطاقات والأرواح وحضارة الإنسان ووجوده الخلاق على هذل الكوكب، وتطيح بدوره النبيل الذي هياه الله للإنسان وهو إعمار الأرض» (سليمان إبراهيم العسكري، مجلة العربي الكويتية، العدد 595، 2008م، ص 8)⁽²²⁾. ويأتي هذا النقد في إطار مقاومة الحملة التي يشنها الغرب ضد الإسلام، فهم يريدون إظهار ثقافة العرب والمسلمين بمظهر التخلف لتحل محلها الثقافة الأوروبية. وهكذا نجد العالم العربي والإسلامي يتعامل بحذر مع شعارات العولمة ومنه تنبع (المقاومة)، وبالطبع هذا لا ينفي وجود مؤيدين للعولمة بكل صيغها المطروحة بها في عالمنا العربي والإسلامي. في رأي الباحثة أن العولمة، قبل أن تتحول إلى مصطلح شائع، كانت موجودة من خلال وقوع الدول العربية والأفريقية ودول آسيوية ودول من أمريكا الجنوبية تحت وطأة الاستعمار، وكان المستعمر يسعى لفرض لغته ومعارفه ونظرتة للحياة، وحتى الزي الخاص به، يسعى لفرضه على الشعوب الواقعة تحت هيمنته. فهناك اليوم شعوب ناطقة باللغة الفرنسية أكثر من لغة البلاد الخاصة كما في شمال أفريقيا نجد دولاً عربية إسلامية تتحدث الفرنسية بطلاقة تونس والمغرب والجزائر، ولها إنتاج ثقافي غزير بالفرنسية، وكذلك دول كثيرة في غرب أفريقيا، لها إنتاج أدبي وثقافي باللغة الفرنسية أكثر مما هو باللغة الخاصة بالبلد، وهناك شعراء من تلك البلدان يكتبون بالفرنسية. وكذلك نجد شعوباً تأثرت بالاستعمار الإنجليزي وباللغة الإنجليزية وبالآداب الإنجليزي، كما نجد الكثيرين منهم استخدموا الإنجليزية في إصداراتهم المختلفة. وفي السودان كان التعليم في المرحلة الثانوية والجامعات كله باللغة الإنجليزية قبل التعريب. وكان الأدب الإنجليزي هو الذي يؤثر في النفوس ويشكل منهاجاً للكثيرين. وكذلك نجد تأثير اللغات الأسبانية والبرتغالية وغيرها.

إن التاريخ يثبت أن الإرسال الحضاري كان دائماً يتم من مراكز إرسال قوية (محمد حسين أبو صالح، الخرطوم، مطبعة العملة، 2006، ط1ص7)⁽²³⁾، وهذه المراكز خلال ثلاثة قرون لم تكن سوى الغرب، ومن هنا استطاع الغرب فرض الكثير من مظاهر حياته على الشعوب. والمتأمل اليوم في الواقع الوطني السوداني يجد فيه الكثير من نمط السلوك الغربي والتفكير الغربي. إن العولمة في جانبها المتعلق بسرعة وصول المعلومة والتبادل الاقتصادي والمنفعة المتبادلة بين الشعوب من الممكن أن تكون ذات فائدة عظيمة للشعوب، وقد استفادت الشعوب بالفعل من الإنترنت والقنوات الفضائية في الحصول على الخبر والمعلومة بالسرعة المطلوبة والاتصال السريع. ولكن بجانب إيجابيات العولمة فهناك أيضاً سلبيات خطيرة لا تنتج عن العولمة في حد ذاتها، ولكن عن (التطبيق الغربي لها) في الوقت الراهن حيث تشكل خطراً سياسياً واقتصادياً وثقافياً كبيراً على الشعوب والدول النامية. وعلى الصعيد الثقافي فإن العولمة بالشكل الذي يراها به الغرب والقائمة على الاستعلاء والنظر للثقافة الغربية على أساس أنها الثقافة المتفوقة على غيرها والتي يجب أن تسود، وأن ثقافات الشعوب النامية تحتاج إلى تطوير لتواكب المفاهيم والقيم الأوروبية التي يضعونها تحت عناوين (الديمقراطية وحقوق الإنسان والحرية الفردية وغيرها من العناوين)؛ فهذه كلها تشكل خطراً على ثقافات الدول والشعوب النامية في آسيا وأفريقيا وأمريكا اللاتينية. كما أن سيطرة الغرب على الإعلام العالمي وتمكنه عبر التفوق التقني من بث منتجاته الثقافية لتصل إلى أركان المعمورة في الوقت الذي لا تمتلك فيه الشعوب النامية والدول الفقيرة هذه الفرصة، فكل هذا من شأنه أن يحدث خللاً في التبادل الثقافي لصالح الغرب، فتنشعب الأجيال الجديدة في الدول النامية بثقافة الغرب وتعمل على تقليدها مما يهدد الهوية والثقافة الوطنية لشعوب الدول النامية. فاليوم تسيطر الولايات المتحدة الأمريكية وحدها على 65% من الإعلام في العالم (جلال الدين الشيخ زيادة، المجلة السودانية لدراسات الرأي العام، ص22)⁽²⁴⁾، بينما «الدول العربية تستورد 43% من البرامج التي تبثها و70% من هذه البرامج تستورد من خارج الوطن العربي». (رضا النجا، العدد الأول، 1990م، ص65)⁽²⁵⁾. وفي رأي الباحثة أنه من المفيد أن يطلع الشعراء السودانيون على إنتاج الشعراء العرب والشعراء الشرقيين والغربيين وعلى أعمالهم من كل بلاد الدنيا، وأن يستفيدوا من ذلك في توسيع آفاقهم ونظرتهم للحياة، مما ينعكس إيجابياً على أشعارهم، ولكن إذا تحول ذلك إلى تقليد أعمى ومحاكاة في الشكل والمفاهيم والرؤى والمصطلحات مع التخلي عن الهوية الذاتية وسمات وأخلاق وعادات وتقاليد ومفاهيم ورؤى مجتمعاتنا والبيئة التي نعيش فيها والميراث الديني الإسلامي، فهذا هو الاستلاب الثقافي بعينه. والمطلوب هو البحث عن عالم حر تسود فيه العلاقات المتكافئة بين الشعوب، أما إذا لم يتوافر ذلك فلا سبيل سوى المقاومة (الواعية) لمحاولات الاستلاب التي يريد الغرب فرضها علينا عبر العولمة وذلك بالتمييز بين ما يعتبر مفيداً ولا يلغي وجودنا القومي وثقافتنا وهويتنا، وبين ما يستهدف تدمير ثقافتنا القومية ويستحق الرفض والمقاومة.

ترى الباحثة أن الإعلام الغربي ليس محايداً. وعلى سبيل المثال «شركة جنرال الكتريك في أمريكا، هي نفسها المالك لشبكة NBC وعدد آخر من وسائل الإعلام الإذاعية، أما شركة والت

ديزني فقد حازت منذ عقد من الزمن على ملكية شبكة ABC الإخبارية المشهورة في أمريكا، وهذه الشركات لها مصالح وسياسات خاصة داخل وخارج أمريكا، وهي تلعب دوراً كبيراً في صنع السياسة الأمريكية ولذلك من المهم التساؤل عما يخدم الإعلام وليس فقط عمّن يملكه.» (صبحي غندور ، العدد 722، الاثنين 16 أغسطس 2010م، ص10)⁽²⁶⁾

إن لكل ظاهرة جديدة دائماً سلبياتها وإيجابياتها ولكل ظاهرة مؤيدوها ومعارضوها، كل من منطلق مصالحه، وقد يختلف الناس في تعريفهم للظاهرة وفي مضامينها، ولكن الأخطر من ذلك هو أن عالم اليوم وبعد أن اختفى المعسكر الاشتراكي من الساحة وانفردت الولايات المتحدة الأمريكية بقيادة العالم واختل التوازن السياسي، اندفع الطرف الذي آلت إليه القيادة ليحقق أهدافاً إستراتيجية في أقل قدر من الوقت، وكانت «العولمة» وشعاراتها البراقة والمنظمات التي نشأت ضمن مفاهيمها هي المدخل لتحقيق تلك الأهداف.

إن التطور التقني كان هو المدخل لنشر أفكار العولمة وشعاراتها ومفاهيمها. وهذا التطور كان من صنع الغرب وعلى رأسه الولايات المتحدة الأمريكية وقد امتلكت ناصيته بالكامل. ومن هنا جاءت المخاوف من شعوب ودول العالم النامي من الآثار السالبة للتفوق التقني للغرب واستخدامه لهذا التفوق لتحقيق مخططات الإستراتيجية الاستثمارية.

ماذا يريد الغرب من شعوب العالم النامي؟:

لقد استنفذ الغرب معظم ثرواته الطبيعية عبر ثورته الصناعية وهو بحاجة إلى موارد ومواد خام طبيعية وبحاجة إلى أسواق لبيع منتجاته الصناعية، ولهذا فهو يرغب في فرض هيمنته بأشكالها السياسية والاقتصادية على العالم ويستتبع ذلك الاهتمام بالجانب الثقافي والعمل على استخدامه مدخلاً لإشاعة ثقافة الغرب على مستوى العالم .

عليه ترى الباحثة أن العالم ينقسم إلى قوى تريد من شعارات العولمة وتطبيقاتها أن تعم العالم، وأن تكون مدخلاً لتحقيق أهدافها الاستعمارية، بينما هنالك قوى تعمل على الاستفادة من منتجات العولمة أي الوسائل الحديثة في الاتصال؛ ولكن دون أن يؤدي ذلك إلى اضمحلال ثقافتها الوطنية لتحل محلها الثقافات الغربية، ودون أن تتخلى عن العمل من أجل عالم تسوده العلاقات الاقتصادية المتكافئة والندية. ومن الطبيعي أن يظهر متطرفون بهذا الاتجاه أو الاتجاه النقيض له إذ إن هنالك من يرفضون فكرة العولمة بصورة شاملة ويرونها مهدداً خطيراً للعقيدة الدينية والثقافة القومية، وهنالك من يرون أن العولمة يكمن فيها الحل لمشكلات البشرية!:

إن تربية النشيء بالنسبة لأيّة أمة من الأمم أمر في غاية الأهمية، وقد كانت التربية في العهود السابقة تجري بتخطيط وتنظيم وطني مما يجعل الشباب في مأمن من مخاطر التيارات الهدامة. أما في ظل العولمة وثورة الاتصالات فقد انفرط العقد وصار الشباب يتعاملون مع الإنترنت والقنوات الفضائية وهم في سن خطرة، وبعضهم في طور المراهقة؛ وهؤلاء من الممكن أن يتأثروا بما يرد في القنوات الفضائية والانترنت تأثيراً كبيراً يهدد الثقافة الوطنية.

هنالك فرق بين أن تكون منتجاً للتقنية، وبين أن تكون مستهلكاً لها. وكذلك هنالك فرق بين أن تكون غنياً ومنتجاً للتقنية وبين أن تكون فقيراً وغير قادر على التعاطى مع التقنية إلا على نطاق محدود. ففي الحالة الأخيرة لن تتمكن من أن تستخدم وسائل الاتصال والإنترنت والفضاء بشكل متكافئ مع الآخري، فالتقنية وبالذات تقنية الاتصال، تعتبر فتحاً عظيماً للبشرية وانتصاراً لها، ولها فوائد عظيمة من حيث اختصار الوقت والتكاليف وتوصيل المعلومة بسرعة قياسية، ولكن المشكلة لا تكمن في تقنية الاتصالات بحد ذاتها، ولكن في الطريقة التي يستخدمها بها الغرب ومضامين الرسائل التي يبثها أو يبعث بها لشعوب العالم الثالث وما استتبع ثورة الاتصالات من مفاهيم للعمولة وأبعاد سياسية واقتصادية لها وجنوح لاستخدام القوة لتحقيق الأهداف. وهذا ما يتطلب اليقظة والحذر، والتمييز بين ما هو إيجابي وما هو سلبي. ومن ناحية أخرى لا نستطيع أن نقاوم الآثار السالبة على الشباب في الجوانب الثقافية والقيمية ما لم نوفر لهؤلاء الشباب فرص العمل بعد تخرجهم في الجامعات والمدارس، أو حتى للذين نطلق عليهم تعبير (الفاقد التربوي)، وذلك لأن الإحساس بالفشل بسبب البطالة والإحباط معاً يؤدي في النهاية إلى فقدان التوازن الاجتماعي، ومن ثمَّ قد ينحرف الشباب ويميلون نحو التوتر والقلق، وقد يتطور الأمر إلى الهروب إلى استخدام المخدرات والعقاقير باعتبارها وسيلة للهروب (عمر حياتي، العدد الثالث، ديسمبر 2007م)⁽²⁷⁾، وقد يميلون إلى التفكير في الهجرة إلى أوروبا وأمريكا وبالتالي يبدأون في تمثل الحياة الغربية من هناك، إذ إن مجتمعهم المحلي لم يقدم لهم شيئاً، وعليهم مغادرة قيمه والتمثُّل أعلى آخر. ومن هنا فإنه في ظل العمولة لم يعد هنالك مجال لتحافظ الأمة على ثقافتها وتراثها، بدون تخطيط وتوجيه مُحكمين. فإن تركنا الحبل على الغارب، ولم نلتفت لمخاطر العمولة، فإن الكثير في بلادنا سيتبدل وسيتم نجاح مشروع العمولة القائم على تزويد ثقافة الشعوب كلها في الثقافة الغربية التي يخطط (قادة العمولة) لجعلها تسود العالم. وهذا التخطيط لا بد أن يقوم على تضافر دور الدولة والمجتمع، مع دور المدرسة والأسرة، مع دور الإعلام والدعاة لإكساب شبابنا حصانة قيمية وثقافية تجعله يتعامل مع الثقافة الوافدة بوعي؛ أي أن نأخذ منها ما هو إيجابي، وأن نلفظ ما هو سلبي ومتعارض مع قيمنا وعاداتنا. ولننظر فقط إلى اتفاقية (سيداو) (اتفاقية سيداو (SEDAW) هي اتفاقية القضاء على جميع أشكال التمييز ضد المرأة التي تمت المصادقة عليها في الأمم المتحدة عام 1979م ودخلت حيز التنفيذ عام 1989م) التي تشكّل جانباً مهماً من جوانب العمولة على الصعيد الاجتماعي والأخلاقي والثقافي. إن الغرب يمتلك رؤية معينة للمرأة ودورها في المجتمع ضمن قيم إباحية ترى أن حرية المرأة في الإباحة المطلقة لحياتها الخاصة، وتتعارض نصوص اتفاقية سيداو مع تعاليم الشريعة الإسلامية، ومع ذلك نجد دولاً عربية وإسلامية قد وافقت عليها بينما تحفظ السودان على كل ما يتعارض مع الشريعة الإسلامية. هذا، وإن واضعي اتفاقية سيداو مُصرون على فرضها بالضغوط من خلال منظمات المجتمع المدني على كل دول العالم، وعلى أساس أن ذلك أمر مهم ومكمل للعمولة. إننا نقف اليوم على مفترق طرق: نكون أو لا نكون.

توصلت الدراسة إلى أن لكل ظاهرة جديدة دائماً سلبياتها وإيجابياتها. والعالم ينقسم اليوم إلى قوى تريد من شعارات العولمة وتطبيقاتها أن تعم العالم، وأن تكون مدخلاً لتحقيق أهدافها الاستعمارية، بينما هنالك قوى تعمل على الاستفادة من منتجات العولمة أي الوسائل الحديثة في الاتصال وتخزين المعلومات واسترجاعها، ولكن دون أن يؤدي ذلك إلى اضمحلال ثقافتها الوطنية لتحل محلها الثقافات الغربية. إن التقنية وبخاصة تقنية الاتصال وتخزين المعلومات واسترجاعها، تعتبر فتحاً عظيماً للبشرية وانتصاراً لها، ولها فوائد عظيمة من حيث اختصار الوقت والتكاليف وتوصيل المعلومة بسرعة قياسية. ولكن المشكلة لا تكمن في تقنية الاتصالات بحد ذاتها، ولكن في الطريقة التي يستخدمها بها الغرب ومضامين الرسائل التي يبثها أو يبعث بها لشعوب العالم الثالث، وما استتبع ثورة الاتصالات من مفاهيم للعولمة وأبعاد سياسية واقتصادية لها، وجنوح لاستخدام القوة لتحقيق الأهداف. وهذا ما يتطلب اليقظة والحذر والتمييز بين ما هو إيجابي وما هو سلبي.

لقد تأثر الشعر العربي عموماً بالعولمة، والسودان وهو جزء من الوطن العربي كان من الطبيعي أن تعكس عليه كل تلك التطورات التي عاشها الأدب العربي في التأثر بالعولمة إيجابياً أو سلبياً.

الخاتمة:

خلصت الدراسة إلى أن العولمة أثرت بشكل كبير على الشعر السوداني من حيث المضامين والأساليب، حيث أتاح الانفتاح الثقافي فرصاً عديدة أمام الشعراء السودانيين للتفاعل مع الأدب العالمي، لكنه في الوقت ذاته أثار تساؤلات حول مدى قدرة الشعر السوداني على الاحتفاظ بهويته الخاصة. كما أوضحت الدراسة أن بعض الشعراء تبنوا أشكالاً شعرية جديدة، بينما سعى آخرون للحفاظ على التقاليد الشعرية السودانية، مما أسفر عن مشهد أدبي متنوع يعكس تفاعلاً بين الأصالة والمعاصرة.

النتائج:

1. تأثرت موضوعات الشعر السوداني بقيم العولمة، حيث برزت موضوعات جديدة ذات أبعاد إنسانية وعالمية.
2. شهد الشكل الفني للقصيدة السودانية تحولاً ملحوظاً نحو استخدام أشكال الشعر الحر والتفعيلة.
3. لعبت وسائل الإعلام والقنوات الفضائية دوراً محورياً في نشر الأفكار الشعرية الجديدة بين الشعراء السودانيين.
4. واجهت الهوية الشعرية السودانية تحديات نتيجة التأثير بالمدارس الشعرية الغربية، مما دفع بعض الشعراء لمحاولة خلق توازن بين التأثير بالحركة العالمية والحفاظ على الجذور المحلية.

التوصيات:

1. تعزيز الدراسات النقدية التي تركز على مدى تأثير العولمة على الشعر السوداني.
2. تشجيع الشعراء السودانيين على الحفاظ على هويتهم الثقافية مع الاستفادة من الإبداع العالمي.
3. توجيه المؤسسات الثقافية لدعم حركة النقد الأدبي في السودان لمواكبة التطورات الأدبية العالمية.
4. تطوير مناهج تعليم الأدب في السودان بحيث توازن بين التراث الأدبي السوداني والتطورات الشعرية الحديثة.
5. يعتبر النقد وسيلة أساسية لتطوير الآداب في العالم، وفي بلادنا، وعليه من الضرورة تشجيع حركة النقد في السودان ليكون لها دورها في دفع الآداب للأمام.
6. علينا أن نعرف كيف نستفيد من إيجابيات العولمة ونتفادى سلبياتها.
7. على الشعراء السودانيين تعلّم اللغات الأجنبية وبالتالي الاطلاع على الآداب العالمية بتلك اللغات والاستفادة من الجيد منها.
8. التأثير المباشر بالشعراء العرب والعالميين عبر المهرجانات الأدبية.

الهوامش:

- (1) محمد حسين أبو صالح، التخطيط الاستراتيجي في الاقتصاد والعلوم السياسية والاجتماعية، الخرطوم، مطبعة العملة، 2006، ط1، ص291.
- (2) حسين إبراهيم كرشوم، دور المنظمات التطوعية في العولمة وأثرها على المجتمع السوداني، الخرطوم، مطبعة العملة، ط1، 2008، ص102.
- (3) المرجع السابق، ص158.
- (4) أورد حسين إبراهيم كرشوم ملاحظة في نفس الصفحة أشار فيها إلى أن رسومات معرض منظمة أحلام الخيرية بمعسكر كلمة عام 2004 م عكست جنوح الأطفال للتأثر بالخواجات.
- (5) حسين إبراهيم كرشوم، دور المنظمات التطوعية في العولمة وأثرها على المجتمع السوداني، ص182.
- (6) إبراهيم واقداي، مجلة المصارف، مؤسسة الصالحاني، دمشق، العدد 36، يوليو 2011م، ص24.
- (7) المرجع السابق، ص24.
- (8) نفسه، ص24.
- (9) إبراهيم واقداي، مجلة المصارف، العدد 36، ص25.
- (10) إيمان الطريقي عبد الرحمن، الرمزية والمباشرة ما بين الشعارين مصطفى سند والتجاني حسين، الخرطوم مطبعة، سينان ط1، 2010م، ص9.
- (11) المرجع السابق، ص6.
- (12) عبد القادر الكتيابي، مجلة المصارف الخرطوم، إصدارات اتحاد المصارف، العدد 32، يوليو 2010م، ص104.
- (13) محمد المهدي المجذوب، نار المجاذيب، دار الجيل بيروت، ط1982م، ص89.
- (14) محمد المهدي المجذوب، نار المجاذيب، ص295.
- (15) محمد مفتاح الفيتوري، شرق الشمس غرب القمر، الطبعة الأولى، دار الشروق بيروت، 1992م، ص134.
- (16) أسامة عبد الرحمن الأمين، علماء المسلمين وأثرهم على أوروبا، المجلة العلمية لجامعة الأزهر، العدد الثالث، ديسمبر 2007م، ص2.
- (17) عبد الوهاب عثمان شيخ موسى، أفريقيا وتحديات الألفية الثالثة، ص207.
- (18) جلال الدين الشيخ زيادة، المجلة السودانية لدراسات الرأي العام، العدد الأول، سبتمبر 2007، الخرطوم مطبعة المجموعة الدولية، ص19.
- (19) نبيل علي، ندوة العرب والعولمة، بيروت، ديسمبر 1997م، ص94.
- (20) المرجع السابق، ص94.
- (21) عون الشريف قاسم، مجلة أفكار جديدة، مطابع هيئة الأعمال الفكرية، العدد الثامن، يناير 2004م، ص27.

- (22) سليمان إبراهيم العسكري، مجلة العربي الكويتية، العدد 595، 2008م، ص8.
- (23) محمد حسين أبو صالح، التخطيط الاستراتيجي في الاقتصاد والعلوم السياسية والاجتماعية، الخرطوم، مطبعة العملة، 2006، ط1 ص7.
- (24) جلال الدين الشيخ زيادة، المجلة السودانية لدراسات الرأي العام، ص22.
- (25) رضا النجا، التلفزيون العربي، مقترحات المستقبل، مجلة الإذاعات العربية، العدد الأول، 1990م، ص65.
- (26) صبحي غندور صحيفة الرائد، العدد 722، الاثنين 16 أغسطس 2010م، ص10.
- (27) عمر حياتي، دور مركز الشباب في تنمية المجتمع، المجلة العلمية لجامعة الزعيم الأزهرى، العدد الثالث، ديسمبر 2007م.

المصادر والمراجع:

- (1) إيمان الطريفي عبد الرحمن، الرمزية والمباشرة ما بين الشعارين مصطفى سند والتجاني حسين، الخرطوم مطبعة سينان ط1، 2010.
- (2) حسين إبراهيم كرشوم، دور المنظمات التطوعية في العولمة وأثرها على المجتمع السوداني، الخرطوم، مطبعة العملة، ط1، 2008.
- (3) عبد الوهاب عثمان شيخ موسى، أفريقيا وتحديات الألفية الثالثة الخرطوم دار مصحف أفريقيًا، ط1 2004.
- (4) محمد الفيثوري، شرق الشمس غرب القمر، الطبعة الأولى دار الشروق بيروت 1992.
- (5) محمد المهدي المجذوب، نار المجاذيب، دار الجيل بيروت، ط1982.
- (6) محمد حسين أبو صالح، التخطيط الاستراتيجي في الاقتصاد والعلوم السياسية والاجتماعية، الخرطوم، مطبعة العملة، 2006، ط1.
- (7) الصحف والدوريات:
- (8) صحيفة الرائد، صبحي غندور، العدد 722، الاثنين 16 أغسطس 2010.
- (9) مجلة أفكار جديدة، العدد الثامن، يناير 2004، مطابع هيئة الأعمال الفكرية، عون الشريف قاسم.
- (10) مجلة الإذاعات العربية العدد الأول، 1990م، رضا النجا، التلفزيون العربي، مقترحات المستقبل.
- (11) المجلة السودانية لدراسات الرأي العام، العدد الأول، سبتمبر 2007، جلال الدين الشيخيزيادة، الخرطوم مطبعة المجموعة الدولية.
- (12) مجلة العربي الكويتية، العدد 595، 2008، سليمان إبراهيم العسكري.
- (13) مجلة العربي الكويتية، العدد 595، يونيو 2008، عادل زيتون.
- (14) المجلة العلمية لجامعة الزعيم الأزهرى، ديسمبر 2007 عمر حياتي، دور مركز الشباب في تنمية المجتمع.
- (15) مجلة المصارف، اتحاد المصارف، الخرطوم العدد 32 يوليو 2010 عبد القادر الكتيابي.
- (16) مجلة المصارف، مؤسسة الصالحاني، دمشق، العدد 36، يوليو 2011، إبراهيم واقداي.

الندوات:

- (1) نبيل علي، ندوة العرب والعولمة، بيروت، ديسمبر 1997، 94.